زمن الخفافيش

زهير كاظم عبود

من على صفحات جريدى المدى العراقية نشر الكاتب العراقي صلاح نيازي رسالة معنونة الى مدير عام قناة الجزيرة يبثه فيها وجع العراقي من السكاكين والشفرات التي تكاتفت في زمن الخفافيش تحز اعناق الرجال والنساء من اهل العراق وتنال منهم، وحين تتكاتف الخفافيش فأنها لاتترك خسيسة الا وقامت بها ففي العراق نقول ((انها ولية المخانيث))، وحقاً فقد أتحدت الضمائر الهجينة والموبوءة والمبتلية بالامراض التي عافتها الدنيا وشفيت منها البشرية بقصد معاداة العراق.
والعراق سواء في زمن المخصي العربي صدام أم الزمن الأمريكي الهجين يتعرض لهجوم المخانيث بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ ، وسيان لدى العراقي أن يقوم رجال الأمن الخاص أو المخابرات أو ابناء العوجة بذبحه بالسكين وبقرارات السلطة أو أن يقوم ملثم ليس له وجه ولاهوية ولاضمير متسلحاً بصحافة وأقلام مدججة بالسوائل الكيمياوية المذيبة وبفضائيات تعج بالمخصيين أو بسكين مخصصة للذبح البشري، أو ان يقوم ناقص بشتم اهل العراق سداً لشواغر النقص التي يمتلئ بها عقله المريض .
الرسالة التي كتبها الكاتب العراقي صلاح نيازي تعج بالوجع الأنساني، وتمتلئ في ثناياها بشموخ العراقيين، وهو أن يكشف سموم بعض العقارب التي تتبرقع بوجوه الأعلام العربي المنحدر الى الحضيض ، هذا الأعلام الذي صار مطية خانعة من مطايا الأرهاب الدولي مهما كانت التبريرات التي لم تقنع حتى الأطفال الذين باتوا يبصقون على شاشات الأرهاب والدجل والكذب الرخيص وأمتهان الراي الآخر والأعتقاد بانتصار قوى الأرهاب والشر والجريمة على قوى الخير والسلام ، والتطبيل للزرقاوي ومجموعات البهائم المفخخة وثلل الممتلئين عقدا وخسة وتخلفاً .
ويبدو أن ما يقوله الممثل الاعلامي لقناة الجزيرة في لندن عن شعب العراق يعكس التوجه العام والسياسة العامة للقناة ، وأن الكراهية التي تنهجها القناة في معاداة شعب العراق تدفع باتجاه ما يبث العداء السافر والمعلن بين شعب العراق والسلطة القطرية التي تعكس توجهاتها وسياستها القناة القطرية التي تعتمدها الحكومة في تنفيذ السياسة الخارجية .
يقينا ان ما تفوه به السويدان من قيء بحق شعب العراق يجسد الكراهية والأمراض الشوفينية التي تكتسح بعض العقول المتردية العربية، هذه العقول التي تركض خلف من يوهمها بانه صاحب نعمتها وولِيها دون تفكير او تأمل، وحين تصل الأمور بسويدان أضاعه اهله وضيعته بلاده أن يقف امام عراقي أصيل ورمز من رموز الثقافة العراقية مثل صلاح نيازي ولا يعرف ما هي قيمة العراق والعراقي ولا تاريخ النضال والسياسة في العراق ، فأنه يؤكد أن زمن المخانيث يسود الساحة الإعلامية والسياسية.
وليس غريباً أن يقول شاعرنا الرمز مظفر النواب عن هذا الزمن الخسيس أنه زمن البول فوق المناضد والفضائيات التي تبجل القتلة والسفلة والإرهاب الدولي .
وهكذا يكون العراق وشعب العراق ومستقبل العراق الشوكة التي ستقف في افواه اعداء العراق والإنسانية وحقوق الانسان، ويبدو ان السم الزعاف الذي ينتشر في صدور وعقول أعداء العراق، هذا السم الزعاف لا يلبث ان يظهر يحاول النيل من شعب كوردستان الذي طالما تكسرت نبال حملة سهام الفكر الشوفيني والعقول التي لم تستوعب حقوق تقرير المصير للشعوب ولا أسس التعايش الإنساني تحت أقدامه ، وحين شنت عقول تمتلئ بالعفونة والخسة حملاتها وكشفت كراهيتها لشعب كوردستان الذي طالما تباهى بتضحياته وصموده ورجاله وجباله ، فباتت تعيش على فتات الفضائيات والصحف الصفر تريد ان تصبغ وجوهها بألوان أخرى غير ان براقعها لاتلبث ان تسقط منها فتكشفها .
وهاهي (قناة الفيحاء) تثبت من خلال حجم الكراهية والسموم التي يحملها السويدان أو ممن على شاكلته لنعرف مقدار تأثيرها العراقي، وبالإضافة لهذا التميز رغم تواضعه ومحدودية فاعليته، يظهر التأثير الإعلامي العراقي الفذ للدكتور هشام الديوان ،هذا البصري العراقي الأصيل صاحب الضمير الحي الذي لا يكرهه الا الكارهون لمستقبل العراق .
من خلال هذه الصدور التي تعشش فيها مآسي العرب وقيم التحجر الفكري وعقد العرب التي ابتلينا بها نستطيع ان نتعرف على التألق الذي تناله قناة عراقية متواضعة وبسيطة بساطة المواطن العراقي ، وطيبة طيبة اهل البصرة، كما يمكن أن تزيد هشام الديوان مهابة وفخراً أن يتعرض للشتائم من المبتورين وممن تعودوا على ان تكون ذيولهم تحمل أسماءهم ودلالتهم فباتوا من دون اسماء معروفة وتاريخ واضح .

عودة الوعي السياسي الفلسطيني: (حماس) أنموذجاً

د. شاكر النابلسي

-١-
منذ أكثر من ثلاث سنوات ومجموعة من المفكرين الليبراليين العرب الجدد يقومون بالدعوة إلى عودة الوعي السياسي الفلسطيني، والتأمل ملياً بما يجري على أرض الواقع الفلسطيني والعربي والدولي من تغيرات متسارعة، ومحاولة اعادة النظر في الطروحات من اليمين واليسار بشأن القضية الفلسطينية.
لقد نادينا في السابق، بأن لا وسيلة لتسييس جماعات أصولية مسلحة كـ "حماس" غير الاقناع والحوار والتعامل معها بالتي هي أحسن وليس بالتي هي أخشن كما كان يطالب شارون واليمين الإسرائيلي الأصولي، ومحاولة اضاءة الطريق السياسي الفلسطيني أمام هذا التنظيم وغيره من الفصائل الأصولية الدينية والقومية الفلسطينية المسلحة، وذلك لتفادي الوقوع في الحرب الأهلية التي كان الأصوليون من دينيين وقوميين يراهنون عليها بعد نجاح محمود عباس في انتخابات الرئاسة الفلسطينية، وتبنيه الحل السياسي لا الكفاحي المسلح للصراع الفلسطيني – الإسرائيلي. وأن مطالبة اسرائيل بقمع مثل هذه التنظيمات بالقوة لن تجدي نفعاً، بل ستزيد من حدة وغلواء مثل هذه التنظيمات وتبعدها عن الطريق السياسي وممارسة اللعبة الديمقراطية مع الفصائل الفلسطينية الأخرى وعلى رأسها "فتح".
لقد نجح محمود عباس السياسي المحنك فيما فشل فيه عرفات من قبل. واستطاع عباس أن يقنع "حماس" والفصائل الأصولية المسلحة الفلسطينية الأخرى بأن الظروف قد حانت الآن لإنهاء "الكفاح المسلح" والانتقال إلى العمل السياسي المنتج نتيجة لمعادلات سياسية جديدة كثيرة قامت في المنطقة، واستوجب على ضوئها اعادة النظر في التعامل مع القضية الفلسطينية على خلاف ما كان سابقاً، ومن أبرزها تحرير العراق، ورحيل عرفات، والانتخابات الرئاسية الفلسطينية، وانسحاب سوريا من لبنان، وتعهد الاتحاد الأوروبي والإدارة الأمريكية بقيام الدولة الفلسطينية الديمقراطية تعهداً شديد الالتزام لم يسبق له مثيل، ووضع الإدارة الأمريكية الحالية جزءاً كبيراً من ثقلها في السياسة الخارجية إلى جانب القضية الفلسطينية وضرورة قيام الدولة الفلسطينية، وإقرار الكنيست الاسرائيلي لخطة شارون بالانسحاب من غزة، وموقف أوروبا وأمريكا من أكبر فصيل أصولي مسلح وهو "حزب الله" والضغوط العالمية التي يتعرض لها من مجلس الأمن والأمم المتحدة، وقطار الإصلاحات السياسية الذي بدأ يمر بالمحطات العربية الواحدة بعد الأخرى، والحراك الديمقراطي الكبير الذي انتشر في العراق ولبنان، وبدأ بالانتشار في مصر ببطء ولكن بثبات.

-٢-
ما هي "العصا السحرية" التي استعملها محمود عباس لكي يقنع "حماس" وغيرها من الفصائل الأصولية الفلسطينية المسلحة بالتهدئة، ثم بالاشتراك في الانتخابات البلدية التي فازت فيها "حماس" فوزاً كبيراً ثم بالانتخابات التشريعية القادمة التي أعلنت "حماس" بأنها ستشترك فيها رغم رفضها لها في السابق، ثم الحوار مع السلطة الفلسطينية في مؤتمر القاهرة على تمديد فترة التهدئة، وهذه كلها هي الاسم الحركي الواضح والصريح لعبارة (التطبيع السياسي) وبدء (مسيرة السلام) والقاء السلاح تدريجياً والانخراط في الحياة السياسية الفلسطينية، وتسليم مهمة الدفاع العسكري لقوى الأمن الفلسطيني ، حيث دولة واحدة، وسلاح واحد؟
فما الذي قام به محمود عباس خلال فترة توليه رئاسة الوزراء في ٢٠٠٣ وخلال توليه رئاسة السلطة الفلسطينية في ٢٠٠٥ والذي استطاع أن يقنع به كافة الفصائل الفلسطينية المسلحة بوجوب العمل السياسي، ويعيد الوعي السياسي للفلسطينيين كافة خلال هذه المدة القصيرة من ممارسة سلطاته؟
لقد قام محمود عباس بخطوات كثيرة منها:
١- لجأ محمود عباس إلى الاقناع بالتي هي أحسن وليس بالتي أخشن كما تمنى عليه شارون من قبل لاشعال حرب أهلية فلسطينية بعد رحيل عرفات كما كان متوقعاً وكما تساءل الجميع: من يملأ الفراغ الذي تركه عرفات؟ فتبين أن عرفات لم يترك فراغاً فلسطينياً برحيله، وانما الفراغ الفلسطيني –كما تبين لنا بعد رحيله –كان بوجوده على رأس السلطة الفلسطينية، وما أن رحل حتى تحرك القطار الفلسطيني، وقطع خلال ثلاثة أشهر ما لم يقطعه في ثلاث سنوات.
٢- لجأ محمود عباس إلى عملية التنوير العقلاني والواقعي السياسي لمخاطر العمليات الانتحارية التي تقوم بها المقاومة الفلسطينية وأثرها على سمعة الحق الفلسطيني الشرعي في المحافل الدولية والرأي العام العالمي الذي يعتبر الدعامة الكبرى للحق الفلسطيني. واثبات بأن الدولة الفلسطينية القادمة هي دولة حامية للسلام، وليست دولة مليشيات مسلحة تهدد السلام والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط.
٣-قام محمود عباس بتوعية الشارع الفلسطيني توعية عقلانية تقول بأن العمليات الانتحارية الفلسطينية تصب في نهاية المطاف في صالح اليمين الإسرائيلي المتطرف في حزب الليكود وتساعد الصقور في هذا الحزب على مزيد من التمسك بالأراضي المحتلة والتنكيل بالشعب الفلسطيني. وأن مثل هذه العمليات الانتحارية تساعد هؤلاء الصقور وعلى رأسهم شارون ونتانياهو على تنفيذ مخططاتهم، وتعطي اسرائيل هامش مناورة ومراوغة كبير للحيلولة دون قيام الدولة الفلسطينية.
٤- بدأ محمود عباس بانشاء خطاب نقدي للذات وللأداء الفلسطيني بعد أن سكت صوت الرصاص قليلاً. ولقد كان من مهمات القيادة الفلسطينية السابقة أن لا يسكت صوت الرصاص (الملعلع) حتى لا يُتيح لصوت النقد الذاتي أن يسمع. فرأينا كيف قام المجلس التشريعي بنقد السلطة التنفيذية، وحجب الثقة عن وزارة قريع الأولى التي تم تشكيلها، ولم يمنح هذه الحكومة الثقة إلا بعد تبديل الوجوه القديمة والحرس القديم بوجوه ذات كفاءة جديدة. وأن عباساً كان مسروراً لهذه الخطوة التي تبعتها خطوات لنقد أجهزة الأمن وإعادة تشكيلها من جديد.. الخ.
٥- قام محمود عباس بتوعية الشارع الفلسطيني عامة بأن العمل السياسي السلمي هو الذي يقود إلى الدولة الفلسطينية، وبأن ما حققته اتفاقية أوسلو ١٩٩٣ وحدها من مكاسب للشعب الفلسطيني وللقيادة الفلسطينية يساوي أكثر بكثير ما حققه الكفاح المسلح الفلسطيني طيلة نصف قرن من الزمان.
٦- كان محمود عباس صاحب القرار المناسب في الوقت المناسب. وهو ما فات عرفات كثيراً الذي اعتاد أن يصل متأخراً دائماً في قراراته (رفض عرفات قرارات كامب ديفيد ٢٠٠٠ وقبلها في ٢٠٠٢ فضاعت الفرصة، مثالاً لا حصراً). فمن قرارات عباس المناسبة في الوقت المناسب سعيه لاجراء الانتخابات الرئاسية التي كانت معطلة طيلة أربع سنوات (٢٠٠٠- ٢٠٠٥). وجاءت الانتخابات البلدية التي شجعت "حماس" وجرت رجلها إلى الاشتراك في الانتخابات التشريعية القادمة بعد أن رفضت الاشتراك فيها من قبل واعتبرتها نابعة من اتفاق أوسلو الذي يعتبر "جيفة" في نظر "حماس"، كما نعلم. وحرص عباس على شفافية كل هذه الانتخابات ونزاهتها مما أعاد الثقة بالسلطة الفلسطينية من قبل الفصائل الأصولية المسلحة والرأي العام الإسرائيلي والرأي العام العالمي الذي بات مقتنعاً بأن الشعب الفلسطيني جدير بالحرية وجدير ببناء دولته الديمقراطية. ويرى بعض المحللين السياسيين المتخصصين بالشؤون الفلسطينية كداني روبنشتاين أن "نجاح حماس في الانتخابات البلدية السابقة أدى إلى احساس حماس بالمسؤولية تجاه الجماهير التي انتخبتها كما قال الناطق الرسمي لحماس. والذي أكد أنه لا يمكننا أن نفي بهذه المسؤولية اذا لم نشارك في كل مؤسسات الحكم في المناطق. وبتعبير آخر ففي اللحظة التي قرر فيها مندوبو حماس المشاركة في انتخابات البلديات لم يعد لهم مفر من مواصلة كل الطريق والتحول الى حزب سياسي".
وفي حديث لمجلة "أكتوبر" المصرية نشر مؤخراً، قال خالد المشعل رئيس المكتب السياسي لـ "حماس" ما يعتبر تحولاً كبيراً في استراتيجية "حماس" نحو تسييس نشاطها وتخليها عن الكفاح المسلح، وخضوعها لمنطق النظام العالمي الجديد. وأوضح مشعل أن "حماس" "ليست تنظيماً محلياً وانما هي طليعة لمشروع وطني ذي تطلعات عربية وإسلامية ودولية. لذلك يتوجب عليه أن يصل إلى مواقع القوة بوسائل قانونية توفر له الإطار القانوني والسياسي، كما يتطلب الآن منطق النظام العالمي الجديد". وقد أثبت مشعل بهذا التصريح أنه قد تحول الى سياسي محترف. فالسياسي الذي يريد أن يكون له وجود وتأثير بارز، عليه أن يخضع لقوانين التاريخ، وإلا سيكون خارج التاريخ. وهذه علامة مميزة وكبيرة من علامات عودة الوعي السياسي الفلسطيني متمثلاً بـ "حماس". وهو ما ناشد به الليبراليون الجدد "حماس" وغيرها من الفصائل الأصولية المسلحة منذ سنوات، عبر الفضائيات والمقالات في الصحف والحوارات الصحافية ومنتديات الفكر.
٧- قام محمود عباس باثبات أنه هو رجل الدولة الفلسطينية ورئيسها. وأنه بصدد فرض الأمن والنظام ومنع الانفلات والفوضى في الشارع الفلسطيني وتطبيق كل ذلك على الجميع. والحد مما دعاه حيدر عبد الشافي بـ "الانتفاضة الفوضوية". وإنهاء فوضى المليشيات الفلسطينية التي أصبحت في عهد عرفات سلطات متعددة داخل السلطة الفلسطينية الشرعية الواحدة.
٨- قام محمود عباس بالتأكيد الفعلي على الأرض وليس بالقول فقط، بأن الكلمة الفلسطينية هي كلمة واحدة لا كلمتان أو ثلاث. وأن السلطة الفلسطينية إما أن تكون أو لا تكون. وهو المبدأ الذي حرص على تطبيقه ودعاه للاستقالة في عهد عرفات ٢٠٠٣ من مهمة رئيس الوزارة التي لم تستمر في الحكم غير ثلاثة أشهر فقط.
٩- قام محمود عباس بتلبية مطلب رئيسي من مطالب الشعب الفلسطيني، وهو تشكيل حكومة من "ذوي الكفاءات" وليس من "ذوي الولاءات" ومن التكنوقراط وليس من الأبواب، ومن الأجيال الجديدة الفلسطينية. وهو مطلب تداول الأجيال لا تداول الرجال الذي رفعته عدة فصائل فلسطينية سياسية معارضة، وطالب به الليبراليون الجدد السلطة الفلسطينية في مناسبات مختلفة.
١٠- قام محمود عباس باعادة بناء جسور الثقة مع صُناع القرار في العالم في أوروبا وأمريكا، بعد أن انهارت وتحطمت هذه الجسور في عهد عرفات نتيجة للمراوغة وعدم الاستقامة والصدق السياسي الذي اتخذه عرفات وتبناه في سياسته كنوع من "المكر السياسي" الذي اتصف به وفاخر، والذي لا يصلح لمثل هذه المرحلة الدقيقة من التاريخ السياسي الآن.
١١- لقد استطاع عباس أن يُعيد الثقة التي فقدتها الفصائل الفلسطينية بالسلطة الفلسطينية. فما نجح به عباس الآن من ترحيب بمشاركة "حماس" بالانتخابات البلدية السابقة وبالانتخابات التشريعية اللاحقة مع علمه بأن "حماس" يمكن أن تحصل على أكثر من ٤٠ بالمائة من هذه المقاعد، هو ما فشل به عرفات من قبل. فمن المعروف أن الحوار بين "فتح" و"حماس" بدأ قبل نحو ١٢ سنة ولم ينته إلى نتيجة. ففي يناير ١٩٩٣، في الخرطوم طلب مندوبو "حماس" تمثيلاً بمعدل ٤٠ بالمائة في كل مؤسسات الحركة الفلسطينية مقابل انضمامهم الى منظمة التحرير الفلسطينية. فرفض عرفات، ورد عرفات بغضب قائلاً: أنا لم آت إلى السودان لأبيع منظمة التحرير الفلسطينية! ذلك أن عرفات كان يضمر عداوة المنافس لـ "حماس" التي دعم انشاءها الملك حسين بن طلال، لكي تنافس "فتح" وتقف في وجه غريمه عرفات، وتطالب بوحدة الضفتين. والملك حسين هو الذي أطلق الشيخ أحمد ياسين من سجنه في اسرائيل، وحمى خالد المشعل مع تسميم "الموساد" له، وضيفه مع "حماس" في الأردن. ولو قبل عرفات بعرض حماس ذاك لجنب القضية الفلسطينية كل هذه الكوارث والمصائب التي أصابتها منذ ١٩٩٣ إلى الآن، ووفّر على الشعب الفلسطيني كل هذه الدماء البريئة.
١٢- أثبت محمود عباس للرأي العام الفلسطيني بأن الفلسطينيين قد عبروا الآن وفي هذه المرحلة من "الجهاد الأصغر" إلى "الجهاد الأكبر"، وهو إقامة الدولة الفلسطينية واعتبار الشعب الفلسطيني جزءاً من المنظومة الإنسانية العالمية وجزءاً من الأمم المتحدة وليس خارجاً عن الشرعية الدولية التي تُحرم وتنكر وتدين الأعمال الانتحارية التي كانت تقوم بها الفصائل الأصولية الفلسطينية المسلحة.
وهذه الخطوات وغيرها من الخطوات التي اتخذها عباس هي التي أعادت للفلسطينيين قادة وشعباً وفصائل وعيهم السياسي الذي فقدوه منذ نصف قرن ويزيد، ووضعت القضية الفلسطينية على طريق الدولة الموعودة.

من يحكم الدولة؟ المواطنة المغيبة - المجتمع المدني المغيب!

شمخي جبر / مؤسسة مدارك

أن انضواء الفرد والتفافه حول البنى التقليدية في المجتمع والتي تتمثل بـ (القبيلة، الطائفة الأسرة) تشكل عبئاً على المواطنة، لأنها تحاول ان تكون بديلاً عنها، وتقوى حينما تضعف المؤسسات الحديثة، فيستعين الفرد بـ (القبيلة او الطائفة) كي تحقق له الحماية واسترجاع حقوقه، وتحقيق الحماية الذاتية من خلالها او كما يقول الدكتور فالح عبد الجبار (اصبحت شبكات التضامن الدينية والعشائرية والمحلية بكل اشكالها تقوم اليوم مقام مجتمع مدني مغيب) (العراق والمنطقة بعد الحرب ٢٠٠٤ ص٥٧)، لأن التنظيمات القرابية والعشائرية والانماط السلوكية الغالبة فيها ريفية بدوية وحسب ما يقول الدكتور محمد عابد الجابري فان (الوعي الذي يحرك الصراع بين الفئات والجماعات لم يكن الوعي الطبقي بل ((الوعي الفئوي))؛ العصبية القبلية، التعصب الطائفي. ومن هنا فالناس داخل جماعات من هذا النوع يكونون مشدودين لا إلى مصالحهم الاقتصادية المباشرة، بل إلى مرحلة سابقة من "تاريخ الجماعة، المرحلة التي ترتبط بها الامتيازات والامجاد او التضحيات التي تشغل مخيال هذه الجماعة والتي بها تحدد هويتها (العقل السياسي ص٢٩) ويؤكد الجابري (ان الايديولوجيا في المجتمعات المتخلفة لا ترتبط دوماً بالواقع الاقتصادي الاجتماعي الذي تعيشه الجماعة في حاضرها بل ترتبط في الاعم الغالب بواقع آخر مضى، ممكن ان يكون مختلفاً تماما....
وكثيراً ما يكون اساسها الاجتماعي الذي انبثقت منه يقع في الماضي وليس في الحاضر) (العقل السياسي ص٣٠) والمشكلة التي تواجهنا في مجتمعنا انه محكوم بهذه العقلية، التي يطغى عليها وبشكل حاد النسق القرابي، الذي امتد داخل المجتمع حتى طغى على كل شيء،وصولا إلى الدولة.
لو وضعنا جانباً كل تجاربنا في الماضي لبناء دولة، فان الدولة كمنظومة حديثة نقلت الينا من الغرب الاستعماري، فهي تركته التي بقينا على الضد منها في كل مواقفنا لأننا لم نؤسس ارتباطاً لنا بها ولم تتواشج علاقتنا معها لاننا بقينا محبوسين في منظومة "القبيلة"والبدوي حسب ارنولد توينبي شديد المحافظة بطبعه يغير منزلته habitatلكي لا يغير عاداته) habitsمحمد جواد رضا ازمة الحقيقة والحرية ص٣٨) فبقي الفرد ريفيا (قبليا) على الرغم من انتقاله إلى المدينة، لأنه بانتقاله اليها نقل معه الريف بكل منظوماته وعلائقه، بما فيها (مؤسسة القبيلة)، حيث ان سكان المدن العراقية بما فيها بغداد على الرغم من مظاهر التحضر ما زالوا (أشباه حضر) فهم يمارسون علاقات ريفية عشائرية ويتصرفون تصرفات اقرب في مضمونها ومحتواها إلى العلاقات والتصرفات الريفية، فالبناء الاجتماعي والثقافي الحضري في المدن العراقية عامة بناء عشائري محلي يقوم على روابط الدم وعلاقات الجوار المكانية فسميت الاحياء في المدن باسماء القبائل التي تسكنها، كما نرى في احياء ومحلات بغداد القديمة.
ان الحياة الحضرية وخصائصها التي وضعت على وفق نظرية المتصل الشعبي – الحضري (ريدفيلد، هنري مين، فرنا ند شوشيز، أميل دور كايم) أو غيرها من النظريات التي تناولت خصائص الحياة في المدن لا تنطبق على مدينة بغداد او غيرها من المدن العراقية (فالتحضر والحياة الحضرية اسلوب للحياة يتميز بمواقف واتجاهات ومناشط وعلاقات واشباعات وافكار وجزاءات وقيم خاصة هي قريبة في مضمونها بدرجة او باخرى من الانماط والعلاقات الريفية وبهذا يمكن ان نقول كما قال ارثر بار (تستطيع ان تنتزع رجلاً من الريف ولكنك لا تستطيع ان تنتزع الريف من عقلية الرجل) (علاء الدين جاسم البياتي.. علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق ص ١١٠)، وهكذا نرى أن انتقال الفرد من الريف يعني انتقالاً للقبيلة وهي مرحلة جديدة في حياتها، ونستطيع أن نسمي هذا الانتقال من الريف إلى المدينة هو السفر الثاني في رحلة القبيلة إذا ما اعتبرنا أن السفر الأول في رحلتها هو التنقل والترحال وعدم الاستقرار وحياة الصحراء وما يرافق هذه الحياة من ممارسات وفعاليات إلى الاستقرار.
إن حياة الاستقرار والإقامة في الريف بالنسبة إلى القبيلة يعتبر تنازلاً لهذا (العقل المتعالي) على أي عمل يدوي فأصبح يمتهن الزراعة، بعد أن كان يحتقر حياة الاستقرار، فسمي من استقروا بـ(الشاوية) إلا أن هذا البدوي / الريفي وإن سماه ابناء عمومته بـ(الشاوي) بقي محتفظاً بعدة الغزو والنهب في عقله ويده وذاكرته ومخيلته لا يستطيع لها فراقاً لأنه يعتقد دائماً (أن البدوي يعيش من غزو الغرباء، فإن أعوزه الغرباء فالأخوة لا عاصم لهم من الغزو) (محمد جواد رضا ص ٣٦). وفي السفر الثاني من رحلته نحو المدينة وأن اختفت من يده (مرغماً) عدة الغزو إلا أنها لم تفارق مخيلته وعقله، فهو في المحلة أو الحي الذي يسكنه في المدينة يعد هذا الحي أو هذه المحلة مضارب عشيرته أو (حماها) حيث ينظر إلى أبناء محلته نظرة تختلف عن أبناء المحلات الأخرى، فبقي مقيداً يحمل في رقبته ومخيلته (العقل القرابي أو ما يسمى الحمية) (حمية الجاهلية الأولى) والحمية هنا العصبية، فإذا كان لدى المسلمين أن الرابطة هي رابطة الإيمان والتقوى (أكرمكم عند الله اتقاكم) ففي المجتمع القرابي أفضل الناس من كانت تربطه رابطة العرق أو الدم أو الرابطة المكانية، لأن المجتمع لا يحتكم في أغلب الأحيان إلى تشريع أو قانون ولا يقيم الفرد على أساس المواصفات الوطنية أو النزاهة أو الجدارة في تحمل المسؤولية وإنما يعتمد على مدى صلة الرحم أو أي قرابة أخرى؛ ففقد الإنسان حقوقه المشتقة من إنسانيته حين لا تكون له أي قوة اجتماعية أو قبلية.
أن العقل القرابي حمل معه هذه العدة العقلية في رحلته على مطية الحراك الاجتماعي والسياسي الذي رفعه إلى مستويات عليا في النخب السياسية والاجتماعية، فعمل من خلال هذا الموقع على تكوين كتل قرابية يشعر وهو في أحضانها بالدفء والأمان والإطمئنان لأنه كما يعتقد يرتبط معها برابطة الدم المقدسة لديه، ولهذا نجد أن العراق لم يحكم من قبل دولة، بل من قبل كتل قرابية عشائرية أو مدينية على مراحل طويلة من تاريخه (انظر حنا بطاطو) وخصوصاً في الفترة المتأخرة من تاريخه، حيث نرى أن نخبه السياسية والاجتماعية والثقافية من مدن معروفة. كل هذا قدم دعماً وتأييداً وتبريراً لتضخيم النمط القرابي وتأكيده في العقل العراقي مما جعل من القبيلة (تشكل للمجتمع عدة تحديات فهي لا تدعم قيماً تقليدية فقط إنما تتنافس مع السلطة المركزية على مسائل الهوية والولاء وممارسة السلطة السياسية وهي في – السياق العراقي – مسألة مثيرة للانشغال (العراق والمنطقة بعد الحرب ص١١٥). في خضم التساؤل من يكون أولاً وفي أوج ما نتعرض له من تحديات لا نجد إلا أن يكون الوطن أولاً لأننا في واقع يجمع طيفاً واسعاً من المكونات والألوان الثقافية، نقول إن الوطن لا يسكن الطائفة أو القبيلة بل هما اللتان تسكنان الوطن، فالأولى أن يحكم الوطن القبيلة والطائفة ولا نعني بهذا الذوبان في الماهية الواحدة بل من خلال احترام الاختلاف الديموغرافي والاثني والحضاري. إن الطائفة والقبيلة هي أم الاستبداد وأبوه لأنها تمتلك أفضل مفقس له من خلال توفير الظروف الملائمة لولادته ونشوئه من خلال ما يولد لديها من (كاريزمات) يفسح المجال لها داخل هذه الوحدات الاجتماعية فتبرز على شكل زعامات تقليدية تستغل ما تنطوي عليه هذه البنى من ولاءات ونعرات تحركها في سبيل أطماعها ومصالحها، أما احتفاظاً بزعامات موروثة أو تحصيلاً لمراكز وامتيازات جديدة، فتصبح هذه البنى مطية مطامع ومكاسب وبؤر ضغائن وأحقاد تسطو على الرابطة الوطنية فتوهنها وعلى النسيج الوطني فتمزقه، ولأنها تعتمد الخطاب الأبوي القسري الإكراهي في علاقاتها التي تتسم بالطابع العمودي، فمن أهم ميزاتها اضطهادها للمرأة وحرمانها من حقوقها الانسانية، لان المجتمع هنا مجتمع ذكوري لا مجال للمرأة فيه، ومما يحتضنه هذا المجتمع في مجال احتقار المرأة واضطهادها يحتضن ظاهرة تعدد الزوجات وانتشار زواج المتعة وزواج المسيار والزواج العرفي ويوفر لها التبريرات النظرية لانها تشبع رغبات وحاجات المجتمع الذكوري. كما انه يمارس عمليات قمع للاقليات وفرز للفئات المختلفة عرقياً ودينياً، وغالباً ما يقاوم عمليات التحديث والتغير الاجتماعي ليحافظ على القيم والعادات والتقاليد، فيرفض التعدد ويدافع عن الواحدية في الفكر. ونظرة سريعة إلى النخب السياسية السائدة تبين بوضوح انها من طبقة الزعماء التقليديين الذين بلغوا ما بلغوه عن طريق الطائفة او القبيلة او الثروة الا في استثناءات قليلة.
والقيم القبلية والطائفية بنى ثقافية تعمل العولمة على احيائها وتضخيمها وابرازها من اجل ان تكون بديلاً عن الدولة او الانتماء الوطني فتتحول إلى هوية بديلة عن الهوية الوطنية من اجل ان تلعب هذه البنى دوراً مستقبلياً تخدم اهداف العولمة، لانها (العولمة) ترفض الدولة او الحدود الوطنية وتعمل على وجود اسواق يسهل اختراقها، بل هي مخترقة امام ما تملكه العولمة من امكانات الاختراق الاقتصادي والثقافي لمجتمع يتألف من خليط متضارب من علاقات وقيم وبنى اجتماعية تقليدية تعود في تراكيبها ومصدرها إلى اقدم مراحل المجتمع البطرياركي في علاقاته وقيمه القبلية والعائلية والطائفية والدينية المستمدة من روابط الدم والمعتقد، وهو مجتمع تابع ينقصه الاستقلال.